ظاهرة التطريز بين الشعر العربي الفصيح والشعر البدوي الجزائري

The phenomenon of embroidery between eloquent Arabic poetry and Algerian Bedouin poetry

عبد الرزاق بعلي
جامعة الجزائر2 أبي القاسم سعد الله
baaliuniv2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/08/12 تاريخ القبول: 2020/11/11 تاريخ النشر: 2020/11/14

ملخص:

التطريز مظهر جماليٌّ من مظاهر أثر الوزن في دلالة الشعر، فهو يحدث التوافق والاتّساق بين التقطيع الوزني والتركيب اللغوي، فيعمد الشاعر إلى أبياته فيهيئ مواضع متقابلة متوازية في السلسلة الوزنية، محقّقا ظاهرة التطريز بتموقع الكلمات اللغوية فيها، ويمنح بذلك الجملة الشعرية أطيافا دلالية وإيحائية، تساهم في تجميل النمطية الوزنية وتكثيفها.

كلمات مفتاحية: التكرار، التوازي، التقابل، الدلالة،

Abstract:

Embroidery is an aesthetic aspect of the effect of weight on the significance of poetry, as it creates harmony and consistency between the gravimetric segmentation and the linguistic composition, so the poet deliberately creates his verses, creating Parallel opposite positions in the weight chain, investigating the phenomenon of embroidery with the location of linguistic words in it, thus giving the poetic sentence semantic and suggestive spectrums, which contribute n embellishing and intensifying gravitational stereotypes.

Keywords: Repetition, Parallelism, Opposite, Significance,

مقدمة :

يُعَدُّ التطريز مظهرا جماليًّا من مظاهر أثر الوزن في دلالة الشعر، فهو يحدث التوافق والاتّساق بين التقطيع الوزني والتركيب اللغوي، فيعمد الشاعر إلى أبياته فيهيئ مواضع متقابلة متوازية في السلسلة الوزنية، محقّقا ظاهرة التطريز بتموقع الكلمات اللغوية فيها، ويمنح بذلك الجملة الشعرية أطيافا دلالية وإيحائية، تساهم في تجميل النمطية الوزنية وتكثيفها.

ويقدّم لنا ابن معصوم (1119ه) تعريفا لغويا بقوله: " التطريز في اللغة: مصدر طَرَزْتَ الثَّوب، إذا جعلت له طرازا أي عَلَمًا، وهو معربٌ، وثوبٌ مطرَّزٌ بالذهب وغيره، أي معلَّمٌ[1]

ويقول العسكري (395ه) في تعريف هذه الظاهرة " هو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة، كلمات متساويةٌ في الوزن، فيكون منها كالطراز في الثّوب"[2]. فكأنّما هو توافق التركيب النحوي مع التقطيع العروضي، وتوافق إيقاع الوزن مع إيقاع اللغة.

وهو ما أشار إليه الأستاذ الدكتور مصطفى حركات عند تناوله العناصرَ المعلّمةَ في البيت الشعري باعتباره وحدة دلالية وصوتية، إذْ يلعبُ النَّحوُ فيه دورين أساسين:

- تعزيز إيقاع الوزن وذلك بإضافة وقفاته إلى وقفات الوزن.
- النيابة عن الوزن في حالة غياب العناصر المعلّمة "[3].

لا شكَّ أنَّ الشعر العربي الفصيح، لا سيما الشعر القديم منه، يزخر بأمثلة كثيرة ونماذج غنيَّة وظّف فيها الشعراء ظاهرة التطريز، فصار الشُّيوع أهمَّ ملامحها، وسنقف على نماذج منه على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر، فهي أكبر من أن نحصيها في هذه الدراسة.

التطريز في نهاية الشطر:

يقول الشّاعر أبو تمّام أبياتا من بحر الكامل[4]:

أَعْـــوَامُ وَصْـــلٍ كَـــادَ يُنْسَـــى طُولُهـــا ذِكْـــرُ النَّـــوى فَكَأَنَّهـــا أَيَّـــامُ

ثُـــمَّ انْبَـــرَتْ أَيَّـــامُ هَجْـــرٍ أُرْدِفَـــتْ بِجَـــوًى أَسًـــى فَكَأَنَّهَـــا أَعْـــوَامُ

ثُـــمَّ انْقَضَـــتْ تِلْـــكَ السِّـــنُونُ وَأَهْلُهَـــا فَكَأَنَّهَـــا وَكَـــأَنَّهُمْ أَحْـــلَامُ

وظَّف الشَّاعر أبو تمّام التطريز في نهايات أعجاز الأبيات السابقة على النحو التَّالي:

الشطر الثاني من البيت 01: فَكَأَنَّهَا أَيَّامُ.

الشطر الثاني من البيت 02: فَكَأَنَّهَا أَعْوَامُ.

الشطر الثاني من البيت 03: وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ.

ونلاحظ كيف يشدُّ انتباه القارئ أو السّامع ذلك التقابل والتَّوازي في أعجاز الأبيات المتوالية ، فيتركّز المعنى كلّه فيها، ويدفع التسلسل الوزني الكلمات إلى التموضع على حسب مواقع التقابل والتّوازي في البيت الشعري، فتتشكّل صورة صوتية ودلالية يأخذ وَهَجُهَا بالأسماع والأبصار، وتنبري الرّسالة خلالها مطرّزة ومعلَّمةً، توحي بنظرة الشّاعر لقيمة الزمن واقتران مقداره وكيفية حسابه بتقلباته النفسية، وتنوع التجربة الشعرية لديه، فشكَّل بذلك معادلة زمنية شعورية على النحو التَّالي:

البيت	التجربة الشعرية	الزّمن الحقيقي	الزّمن النّفسي	ايقاع اللغة	ايقاع الوزن	الدلالة
01	اللذّة والمتعة	أعوام	أيّام	أفعالُ	فعلان	القصر،السرعة، الخفّة
02	الألم والمعاناة	أيّام	أعوام			الطول، البطىء، الثقل
03	التأمل والتفكر	أعوام	أحلام			الوهم، التلاشي، العدم

لقد وردت الكلمات: أيّام، أعوام، أحلام، متساوية في الوزن متقابلة ومتوازية في المواقع، في أبيات متتالية.

التطريز في الشطر الثاني:

يقول الشَّاعر ابن الرُّوميّ من بحر الوافر[5]:

أُمُـــورُكُم بَنِـــي خَاقَـــانَ عِنْـــدِي عُجَـــابٌ فِـــي عُجَـــابٍ فِـــي عُجَـــاب

قُـــرونٌ فـــي رُؤُوسٍ فِـــي وُجُـــوهٍ صُـــلَابٌ فِـــي صُـــلَابٍ فِـــي صُـــلَاب

نجد الشَّاعر ابن الرُّوميّ قد وظَّف التطريز في الشطر الثاني على النحو التَّالي:

الشطر الثاني من البيت 01: م1عُجَابٌ/م 2 فِي/م3 عُجَابٍ/م 4 فِي/م 5 عُجَابِ/.

الشطر الثاني من البيت 02: م1 صُلَابٌ /م 2 فِي/م3 صُلَابٍ /م 4 فِي/م 5 صُلَابِ/.

ويمكن أن نرمز للشطر: ش، للموقع : م، التوازي:||

البيت	الكلمة	الوزن الصرفي	الوزن العروضي	الدلالة	الموقع التسلسلي	الدلالة
01	عُجَابٌ	فُعَالٌ	فَعُولُن	التساوي	ش1م1||ش2م1، ش1م3||ش2م3، ش1م5||ش2م5.	التقابل والتّوازي
02	صُلَابٌ					

الكلمتان: عجاب، صلاب، متساويتان في الوزن متقابلتان متوازيتان في المواقع، في بيتين متتالين.

التطريز في حشو البيت:

وقد أورد أسامة بن منقذ(584هـ) أبياتا في مصنفه من بحر البسيط [6] يقول فيها:

أَمْسَــى وَأَصْــبَحَ مِــن تِــذْكَارِكُمْ وَصِــباً ... يَزْثِــي لِــي المُشْــفِقَانِ: الأَهْــلُ، وَالوَلَــدُ
قَــدْ خَــدَّدَ الــدَّمْعُ خَــدِّي مِــن تَــذَكُّرِكُمْ ... وَاعْتَــادَنِي المُضْــنِيَانِ: الوَجْــدُ، وَالْكَمَــدُ
وَغَــابَ عَــنْ مُقْلَتِــي نَــوْمِي لِغَيْبَــتِكُمْ ... وَخَــانَنِي الْمُسْــعِدَانِ: الصَّــبْرُ، وَالْجَلَــدُ
لَا غَــرْوَ للــدَّمْعِ أَنْ تَجْــرِي غَوَارِبُــهُ ... وَتَحْتَــهُ المُضْــرِمَانِ: الْقَلْــبُ، وَالْكَبِــدُ
كَأَنَّمَــا كَبِــدِي شِــلْوٌ بِمَسْــبَعَةٍ ... يَنْتَابُهَــا الضَّــارِيَانِ: الــذِّئْبُ، وَالْأَسَــدُ
لَــمْ يَبْــقَ غَيْــرُ خَفِــيٍّ الــرُّوحِ فِــي جَسَــدِي ... فِــدَاؤُكَ الْبَاقِيَــانِ: الــرُّوحُ، وَالْجَسَــدُ
إِنِّــي لأَحْسُــدُ فِــي الْعُشَّــاقِ مُصْــطَبِرًا ... وَحَسْــبُكَ الْقَــاتِلَانِ: الْحُــبُّ، وَالْحَسَــدُ

جاءت الكلمات بصيغة اسم الفاعل: مُشْفِقَانِ، مُضْنِيَانِ، مُسْعِدَانِ، مُضْرِمَانِ، ضَارِيَانِ، بَاقِيَانِ، قَاتِلَانِ، متساوية في الوزن متقابلة متوازية في المواقع، في الأبيات السبعة المتتالية.

البيت	الكلمة	الوزن الصرفي	الوزن العروضي	دلالة التموقع
01	مُشْفِقَانِ	مُفْعِلانِ	فَاعِلَاتُ	التساوي والتقابل والتوازي
02	مُضْنِيَانِ			
03	مُسْعِدَانِ			
04	مُضْرِمَانِ			
05	ضَارِيَانِ	فَاعِلانِ		
06	بَاقِيَانِ			
07	قَاتِلَانِ			

نلاحظ من خلال الأبيات السابقة أنَّ التطريز لعب دورا مهمّا كدعامة لاتّساق النَسق الوزني للأبيات فخدم الشاعر بذلك المعنى وعزّز الدّلالة، وجمَّل البيت الشعري كلوحة فنّيّة مزخرفة ومطرّزة، من خلال التقابل والتوازي الذي تمَّ توظيفه في تلك الأبيات.

ويلعب الوزن دورا مهمّا في تموقع وتنظيم المفردات،واختيار المناسب من الوحدات اللغوية التي تتوافق مع الوحدات العروضية، مستخدما أهمَّ خصائصه ومميزاته المتمثلة في التكرار والتناظر والتماثل ويستشفُّها الباحث متلبسة بتمظهرات ملوّنة في كلّ جزئية من جزئيات النّص الشعري، "وإذا بحثنا عن معنى تحمله الوحدات العروضية في مستوى من المستويات، فإنَّنا لن نجد إلّا معنى واحدا هو التكرار... فالتفاعيل بتكراراها تكوّن البيت، والبيت بتكراره يكوّن القصيدة...ولا ينظر إلى مكونات الوزن إلا من زاوية واحدة هي التماثل أو الاختلاف" [7]، لأنَّ كثيرا من الظواهر التي سنتعرض لها، قد يبدوا في الوهلة الأولى أنّها لا تمتُّ بصلة للوزن ونحوه، لكن في حقيقة أمرها لن تخرج عن نطاق السّياج العام، والذي يؤطره القانون الأقوى ألا وهو الوزن، والذي ألزم الشاعر به نفسه وأعلم جمهوره المتلقي بإيقاع ذلك النّغم الموسيقي عند إنشاد أوّل شطر من بيت القصيدة، فالذي يسمّيه أهل البلاغة والشعر، بالتطريز بحكم مظهره البديعي، " إنَّما هو درجة من درجات إحكام البناء المقطعي بما يقيم معمار الشعر على تمفصل نسقي يجعل الإفضاء به كأنّما يحكي تناظرا ايقاعيا على قدر من الآلية" [8].

إنَّ الشعر البدوي الجزائري، ينتمي إلى الشعر الشعبي -وبعيدا عن جدل المسمّيات- يعرف عند أهل البادية الجزائرية بالملحون، ذو الشطرين" ويحقُّ لنا أن نُسمِّي هذا الشعر الملحون العمودي" [9]، ولقد تحدّث الكثير من شعراء الملحون عن علاقتهم الحميمة بهندسة بناء وزن القصيدة العربية العمودية القديمة، وعلى تشابه الأغراض والأساليب التي ينتهجها الشاعر في نسج قصيدته وتطريزها.

وهذا يدعونا إلى التساؤل عن **كيفية تعامل الشاعر البدوي الجزائري مع هذه الظاهرة؟ وكيف وظّفها في أشعاره؟**

يطالعنا الشاعر عبد الله بن كريو وهو أحد أعمدة الشعر البدوي الجزائري،" اشتهر بالقصائد البدوية المغنَّاة على طريقة الأيَّاي" [10] واخترنا قصائده التي جاءت على وزن البدوي الملحون، أو ما يعرف بالعشاري عند أهل مدينة الشاعر الأغواط، وكذا شمال الصحراء الجزائرية.

في معرض الوصف لمعاناته المُحبِّ وما يلقاه من عَنَتِ البُعْدِ عن المحبوب، يقول الشاعر في قصيدته المشهورة قمر اللّيل [11]:

ضُـــرَّ مْعَاشَـــرْ كَبّـــدْتِي وَاَنَـــا خَافِيـــه صَـــابَرْ لَلْحُمَّـــى الشْـــدِيدَه مَـــا ذَالِـــي[1]
يَـــا سَـــايِلْ عَـــنْ خَـــاطْرِي وَاشْ مْجَنِّيـــه مْـــعَ الـــرِّيمِ اللِّـــي جْلَـــى قَلْبِـــي جَـــالِي[2]
يَـــا تِهْوَاسِـــي خَـــاطْرِي وَاشِ يْنَسِـــيِّه أَعْلَـــى رِيمًـــا كَـــانْ وَيْـــنَ امْسَـــى فَـــالِي[3]

استقر الكلمات : ذَالِي، جَالِي، فَالِي، في قافية الأبيات وجاءت متساوية في الوزن متقابلة متوازية في المواقع على النّحو التَّالي:

البيت	الكلمة	الوزن الصرفي	الوزن العروضي	الدلالة
06	ذَالِي	فَاعِلْ	فَعْلُنْ	التَّساوي التَّقابل التَّوازي
07	جَالِي			
08	فَالِي			

وفي موقف العتاب والشكوى من المحبوب، يقول الشاعر يقول بن كريو [12]:

قِـــدَّاشَ انْ مَرْسُـــولْ لِيَّـــا شَـــفَّتِيه كَرْهُـــوكَ الْحُسَّـــادْ بُغْضًـــا عَـــنْ جَـــالِي[5]
انْشَـــرْتِ ثَـــوْبَ الْمْحَبَّـــه وَطْوَيْتِيـــه وَاهَ جْدِيـــدَ مْحَبْتَـــكْ وَلَّـــى بَـــالِي[6]

يكرّر الشاعر البنية الصّرفية نفسها: جَالِي، بَالِي، مع نهاية الشطر الثاني من البيتين المتتالين، ليقيمهما الوزن مقام القافية، ووردت متساوية في الوزن متقابلة متوازية على النّحو التَّالي:

البيت	الكلمة	الوزن الصرفي	الوزن العروضي	الدلالة
18	جَالِي	فَاعِلْ	فَعْلُنْ	التَّساوي التَّقابل التَّوازي
19	بَالِي			

ويتعاظم الشعور السلبي عند الشاعر، ويستدعي أحد التجارب الشعورية التي استوقفته مع المحبوب في الماضي، فيقرُّها بواقع الحال، ويتضرَّعُ بالدُّعاء طلبا للعدالة الإلهية حتّى في البلاء، فيقول بن كريو [13]:

صَـــحَّ مْنَامَـــكْ بِـــالوْفَقْ كِيمَـــا قُلْتِيـــه تَفْسِـــيرُه مَـــا بَيْنْنَـــا ظَـــاهَرْ جَـــالِي
يَاعَـــالِي الْعُلْيَـــا الْبَـــالِينِي تَبْلِيـــه تَجْعَـلْ حَالُـه فِـي الْمْحَبَّـه كِـي حَـالِي

وتبرز كلمة: جَالِي بمعنى الجلاء والظهور، مرَّة أخرى واقعة في نفس موضع القافية، وقد وردت متطابقة مع قافية البيت السابع، مُكَرَّرة لفظا ومعنى، ومع قافية البيت الثَّامن عشر، تكرَّرت الصيغة وتغيَّر المعنى وتقابلها في نهاية الشطر الثاني من البيت الموالي كلمة: حَالِي، وقد وردتا متساويتين في الوزن متقابلتين متوازيتين على النّحو التَّالي:

البيت	الكلمة	الوزن الصرفي	الوزن العروضي	الدلالة
32	جَالِي	فَاعِلْ	فَعْلُنْ	التَّساوي التَّقابل التَّوازي
33	حَالِي			

قد وقفنا على ظاهرة التطريز كمظهر من مظاهر التوزاي والتقابل في الشعر البدوي الجزائري في نهاية الشطر الثاني، أي في أعجاز أبيات من أشعار بن كريو، لكنَّنا نجد الشاعر قد وظَّفها خدمة لتأطير

القصيدة وزيادة التحامها مع وزن القصيدة، فاستخدم التقابل والتوازي أيضا في صدارة الأبيات وكذا في حشوها، ولنعطي أمثلة قد وقعت في الأبيات السابقة وفي مواطن أخرى من قصيدة قمر اللِيل ولكن سنأَطِّرُ مواقع التقابل والتوازي، من التطريز والتِّرداد والتَّصريع في متن قصيدة قمر الليل على هذا النحو:

ضُـــرَّ مْعَـــاشَرْ كَبَّـــدْتِي وَانَـــا خَافِيـــه ... صَـــابَرْ لَلْحُمَّـــى الشْـــدِيدَه مَـــا ذَالِـــي
يَـــا سَـــايِلْ عَـــنْ خَـــاطْرِي وَاشْ مْجَنِّيـــه ... مْـــعَ الـــرِّيمِ اللِّـــي جْلَـــى قَلْبِـــي جَـــالِي
يَـــا تِهْـــوَاسِي خَـــاطْرِي وَاشِ يْنَسِـــيِّه ... أَعْلَـــى رِيمًـــا كَـــانْ وَيْـــنَ امْسَـــى فَـــالِي

قِـــدَّاشَ انْ مَرْسُـــولْ لِيَّـــا شَـــقَّيتِيه ... كَرْهُـــوكَ الْحُسَّـــادْ بُغْضًـــا عَـــنْ جَـــالِي
انْشَـــرْتِ ثَـــوْبَ الْمْحَبَّـــه وَطْوَيْتِيـــه ... وَاهَ جْدِيـــدَ مْحَبْتَـــكْ وَلَّـــى بَـــالِي
وَشْـــرَبْنَا كَـــاسَ الْمْحبَّـــه وَكْسَـــرْتِيه ... بَعْـــدَ انْ عَـــدِّينَا مْـــنَ الزَّهْـــوَ لْيَـــالِي
صَـــحَّ مْنَامَـــكْ بِـــالوْفَقْ كِيمَـــا قُلْتِيـــه ... تَفْسِـــيرُه مَـــا بَيْنَنَـــا ظَـــاهَرْ جَـــالِي
يَاعَـــالِي الْعُلْيَـــا الْبَـــالِينِي تْبَلِيـــه ... تَجْعَـــلْ حَالُـــه فِـــي الْمْحَبَّـــه كِـــي حَـــالِي

خاتمة:

يمكننا الوقوف على ملاحظات مجملة حول ظاهرة التطريز نقدمها في شكل خلاصة للبحث وهي على النحو التالي:

- أنَّ التطريز لعب دورا مهمّا كدعامة لاتّساق النَسق الوزني للأبيات وساعد الشاعر في تعزيز المعنى والدّلالة.

- تجميل البيت الشعري كلوحة فنّيّة مزخرفة ومطرّزة، من خلال التقابل والتوازي الذي يتمَّ توظيفه في البيت الشعري.

- يلعب الوزن دورا مهمّا في تموقع وتنظيم المفردات، بالاختيار المناسب للوحدات اللغوية التي تتوافق مع الوحدات العروضية، مستخدما أهمَّ خصائصه ومميزاته المتمثلة في التكرار والتناظر والتماثل.

- ظاهرة التطريز كمظهر من مظاهر التوزاي والتقابل ليست في الشعر العربي الفصيح فقط بل هي موجودة أيضا في الشعر البدوي الجزائري.
- تنوعت تموقعات ظاهرة التطريز فنجد الشاعر يوظّفها خدمة لتأطير القصيدة وزيادة التحامها مع وزن القصيدة، فيستخدم التقابل والتوازي أيضا في صدارة الأبيات وكذا في حشوها وفي نهاياتها.

الإحالات:

[1]- ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع،ج6،ص 201.

[2]- العسكري، أبو هلال: الصناعتين،ص 339.

[3]- حركات مصطفى، الهادي إلى أوزان الشعر الشعبي، دار الآفاق، 2007،ص 146.

[4]- أبو تمام،الديوان، ج2،ص 75.

[5]- ابن الرومي ،الديوان، تح: حسين نصّار، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ط2 ،1993 ،ج1،ص 353.

[6]- أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، ص65.

[7]- حركات مصطفى،العروض العربي بين النظرية والتطبيق، دار الآفاق، الجزائر،ص150.

[8]- المسدي عبد السلام،نموذج المفاصل، مجلة البيان،العدد 238، يناير1986، الكويت،ص5.

[9]- حركات مصطفى،الهادي إلى أوزان الشعر الشعبي، دار الآفاق، الجزائر،ص18.

[10]- المرجع السابق،ص20.

[11]- البشير بديار،ديوان ابن كريو، مطبعة بن سالم، الأغواط، 2009، ص205.

[12]- البشير بديار،ديوان ابن كريو، مطبعة بن سالم، الأغواط، 2009، ص207.

[13]- البشير بديار،ديوان ابن كريو، مطبعة بن سالم، الأغواط، 2009، ص207.